صعد إلى عنايا للصلاة عاد بـ «علامة» على زنده وأخرى أعمق في قلبه

ريمون ناضر، مهندس كهرباء، مدير شركة، متزوج وله ثلاثة أولاد، طلع إلى عنايا ليل ٩ تشرين الثاني ليصلي ويتأمّل كما درج أن يفعل منذ أعوام، فحدث معه شيء لا يزال رأسه إلى اليوم عاجزاً على تحليله. كلّ ما يعرف أنه أحسّ بحضور يفوق الطبيعة وبشعور غيّر له مجرى تفكيره، وان بقي له من هذا «اللقاء» علامة: يد مطبوعة على زنده يشرحها الأطباء بأنها حرق من الدرجة الثانية والثالثة. ورسالة يحاول إيصالها إلى كلّ الناس.

١٠ تشرين الثاني تاريخ عيد الرهبنة المارونية. و١٠ تشرين الثاني عيد ميلاد ريمون ناضر. ففي مثل هذا اليوم من العام ١٩٦١ تسجّل في نفوس بلدة الغينة اسم جديد هو اسمه.

ليست المرّة الأولى التي يطلع فيها ريمون إلى عنايا. وليست المرّة الأولى التي يختبر فيها صلاة فردية مكثّفة، فهو اعتاد منذ عشرة أعوام، قصد مكان هادىء بضع ساعات يومياً لمدّة شهرين أو ثلاثة للتأمّل والصلاة. فكان يعمل نهاراً كالمعتاد، وفي المساء يقصد واحداً من أمكنة عدّة تعوّد التردّد إليها: سيدة القلعة في شحتول، دير مار جرجس المهجور في يحشوش، محبسة مار شربل في عنّايا. وهذه السنة كان دور مار شربل على غرار العامين ٨٧ و٩١.

اكتشف تلك الحاجة الى الصلاة العام ٨٥ عندما كان يتمشّى يوماً في دير مار جرجس في يحشوش. يومها، ولأنه نسي هموم الحياة اليوميّة وتولّدت عنده راحة نفسيّة بعد التأمل والصلاة، قال في نفسه: لمَ لا أصعد يومياً لأصلّي؟ ثم، ولأنه كان ينشغل جدّاً في النهار، نقل الموعد إلى المساء والليل.

إذاً، في ذلك المساء من ٩ تشرين الثاني من العام ١٩٩٤، وكان بدأ رياضته الروحية لهذه السنة منذ الخامس من أيلول، أنهى كل واجباته المكتبيّة، وضع فرانسوا وريتا ورودي أولاده الثلاثة في فراشهم، قال «بخاطرك» لزوجته وغادر منزله في كسروان قاصداً عنايا، في يده كيس فيه انجيل وخمس شمعات.

في السنة الأولى كان يأخذ شمعة واحدة. ولأنه كان يصلّي في الهواء الطلق وغالباً ما كانت تنطفىء الشمعة فيتلهّى بإعادة إشعالها، صار يأخذ شمعتين أو ثلاث. ثم اكتشف أن قراءة الانجيل أسهل على نور خمس شمعات فصار عدد الشمعات في الكيس خمس. في البدء كان يضعها على شكل نصف دائرة أمامه في التراب أو على الأرض ثم اعتاد ان يضعها على شكل صليب.

في ذلك المساء، وصل إلى عنايا قرابة العاشرة والنصف. أحياناً كان يصفّ سيارته تحت، أمام دير مار مارون ويصعد مشياً إلى المحبسة. وأحياناً أخرى كان يطلع تحت المحبسة مباشرة، بحسب نشاطه ورغبته في المشي. تلك الليلة ترك السيّارة في بورة على الطريق بين الدير والمحبسة وأكمل مشياً.

من الطبيعي أن تكون المحبسة مقفلة في مثل ذلك الوقت. ريمون بدأ بـ «رياضته» كما يبدأها عادة: تمشّى نحو نصف ساعة بين الشجر «حتى تهرّ ضجة المدينة من رأسي». وكان الطقس بارداً وكان يلبس كنزة صوف فوق الـ «تي. شيرت». لكن السماء كانت صافية بلا غيوم تقريباً ولغياب الكهرباء كان ضوء القمر (نصف قمر) فقط يضيء الطريق. ثم بدأ بتحضير نفسه للصلاة.

وطريقته في التحضير للصلاة تتلخص على الشكل التالي: ينام على ظهره على التراب والحجارة ويصير يتأمّل الكواكب والنجوم وكيفية تركيب الكون. ولأنه مهندس في اختصاصه يحلّل الأبعاد والمسافة. يركّز على نجمة معيّنة ويقارنها بالمسافة والحجم بالنجوم الأخرى وبالشمس ويصير يقفز من نجمة إلى أخرى. بعد دقائق يتولّد عنده شعور بمقدار كبر الكون وحجمه ويرى نفسه في قلب دائرة ضخمة هائلة لا حدود لها لا متناهية. وكلما هبط من هذا «الكون» إلى نفسه، يتملّكه شعور بأنه تقريباً غير موجود، وبأنه اقلّ من نقطة غبار في كون هائل الحجم فيصل إلى تلك الفلسفة: «الكون يمشي من دوني، أنا كإنسان ما فيزيائي ليس لي طعم ولا قيمة، حضوري وغيابي لن يؤثرا على مجرى الكون. لكن انا الذي هو «لا شيء»، لي روح من الله وبالنسبة إلى الله أنا موجود ويسمّيني ابنه وهو يحبّنا ويدلّنا على الطريق الذي نتّحد به ونتشارك في خلق الكون. نحن أهمّ من النجوم بالنسبة إلى الله فقد أرسل لنا ابنه ليخلّصنا وتعذّب ومات من أجلنا ودلّنا على الطريق، وعلّمنا أن نصلّي وننادي خالق الكون «أبانا». وبالتالي أنا من دون الله لا شيء، لكن أنا مع الله شيء كبير، جزء من الكون، أهميتي بوجود روح الله فيّ وليس بحجمي البيولوجي المادي، أهميتي في هذا الكون تكمن بمحبّة الله لي».

عندما يصل إلى هذه المرحلة من تأمّله، ويبدأ بالشعور بأن الصلاة ستطلع من صميم قلبه، ينهض، يركع، يشعل الشمعات، يختار نصّاً من الانجيل يقرأه إلى جانب نص آخر يقرأه يومياً هو «عظة الجبل».

في ذلك الليل قرأ نص «العظة» ونص «مثل الوزنات» وصلّى عدّة مرات «أبانا» وعدّة مرات «السلام» وبدأ بصلاة عفوية شخصية عرف في ما بعد أنها تصنّف بالـ «مناجاة». كانت الفكرة الأساسية في صلاته تتركّز على الطلب من الله بعدم تركه، «لا تفلتني، كلّما أحسست أنني ابعد شدّني إليك، واستعملني لتحقيق مشيئتك...».

كان الطقس بارداً جدّاً وكان في المكان نسمة باردة خفيفة. بعد لحظات أحسّ بنسمة دافئة ما لبثت أن تحوّلت ساخنة «كأنها فوق الـ ٥٠ درجة «وأحسست أنني لا أستطيع أن أتنفّس». نزع الكنزة والـ «تي. شيرت» وظلّ يزرزب عرقاً. للوهلة الأولى فكّر أنها تغيير طرأ على طبقات الجو بسبب احتراق الآبار أو ثقب الأوزون ربما... أو تغيير في الضغط الجوّي. ثم فكّر انه ربّما كان محروراً وانتظر أن يشعر بالبرد. «لماذا لا أبرد؟ وإذا كنت محروراً، يجب ألّا أفكر بالأمر، أتيت إلى هنا لأصلّي، فللأصلّ وعندما أعود إلى المنزل أعالج الحرارة. اشتدّت النسمة الساخنة واشتدّت تحليلاتي: ربما هو هواء صحراوي، فليكن ما يكون، يجب ألّا افكر به، إنه يلهيني عن الصلاة. شبكت يديّ لأعاود التركيز على الصلاة فلاحظت أن نور الشمعات لا يهزّ، في ما الشجر في وجهي صوب الجنوب

وعن يميني يهزّ أغصانها الهواء، وفي ما أمام المحبسة أكياس تغطي الرمل تلوح وتصدر اصواتاً. أسمع صوت الهواء ونور الشمعات مثل نور اللمبة جامد. فكّرت انني فعلاً محرور وإلّا يجب أن تُطفأ الشمعات. فقرّرت أن أمدّ أصابعي وامرّرها على فتيل الشمعة لكن في هذا الوقت ما عدت أرى إلا الشمعات ولا غيرها. تعطّلت كل حواسي. لم أعد أسمع شيئاً، لا عويل الكلب في الوديان ولا صوت الهواء في الشجر والأكياس، ولم أعد أشعر بالحرّ أو البرد، لكن أحسست بحضور قويّ يقترب منّي رويداً رويداً. بقيت مدهوشاً أفكّر أين انا وماذا يجري حتى أحسست باتصال مع «الكائن» المقترب منّي من دون أن أحسّ بشيء. أصعب شيء في قصّتي يبدأ الآن. لا أستطيع أن أشرح ماذا صار لكنني سأجرّب».

الفكرة الأولى التي راودته «أنا أحلم». فأحسّ بجواب «لا، أنت لا تحلم». «أحسّ» بالجواب لأنه لم يسمع هذا، لا بلغة ولا بصوت ولا بكلمات. لكن الجواب كان واضحاً جدّاً. «هنا تكمن صعوبة شرحي الأمر للناس. قلت ثانياً في راسي «أنا أكيد مش واعي» وبالطريقة نفسها أحسست بالقول «أنت الآن واعٍ، من قبل لم تكن واعياً وأنت الآن واعٍ اكثر من أيّ يوم مرّ في حياتك». وتساءلت أين أنا؟ ومع مَن أتخاطب؟ فأتاني الجواب شعوراً هائلاً ضخماً

ريمون ناضر صار يحب بشكل مختلف

رائعاً وكأنه يقول لي «هذا هو أنا». إلى اليوم، أخبر ريمون القصّة «نحو ٢٠٠ مرّة وفي كل مرّة أحسّ انني لا اعبّر كما يجب بل لا أعبّر عن شيء بسيط مما حصل. ربّما ما كنت أراه يشبه نور شمس ناقح على وجهي، هو ضوء أبيض جدّاً، أبيض من البياض كأن الشمس تنقح على ثلج أبيض ناصع وتعكس النور على وجهي من دون أن تبهرني. لم يقل لي من هو بل جعلني أحسّ من هو. أحاول أن أشرح احساسي على قدر ما أستطيع التعبير: هو مزيج من سلام ضخم وصفاء داخلي وطمأنينة وهدوء. فقط لو أستطيع اختراع كلمات أخرى تعبّر أكثر عن الشعور الذي تملّكني، أهمّ ما فيه. أنه شعور محبّة وعاطفة وحب وعشق... كل تلك التسميات وراء شعور واحد. عندها، لم أعد أفكّر بشيء، لم أعد أحلّل، لم أشعر بالوقت، كل شيء كان متوقعاً من حولي، لا حركة لا حسّ، كأن الكون ساكن ولا وجود للوقت موقف خارج الزمن، كانت تحدث أشياء اكتشفتها لاحقاً وكأنها حدثت كلّها «متراكمة» في ثانية واحدة. عندما أحسست أن هذا «الحضور» ينسحب، انقلب إحساسي راساً على عقب: أحسست بشعور يشبه الموت وبقلق عظيم وأحسست انني أريد أن أرجوه «لا تذهب». وكأنه فهم عليّ سمعته في راسي (وليس في أذني) «أنا هنا دائماً لست ذاهباً إلى أيّ مكان». في هذا الوقت أحسست أنه يبتعد بعدما عاد الشعور الرائع ليمتلكني وهذه المرّة لم يفارقني عندما ابتعد.

في أثناء ابتعاده بدأت حواسي تعود إليّ، شعرت بالبرد، وسمعت صوت الكلاب وصوت الهواء ورأيت أوّلاً الجبال في وجهي، ثم المحبسة عن يساري وخيال الشجر أمامي وشعرت بوجع في ركبي وفي أسفل ظهري، لأنني كنت لا أزال راكعاً (كان ظهري يابساً كالحطب). من حولي، كان الهدوء والظلمة

ريمون ناضر: دعوتان ورسالة

تمام العاشرة، اتصل معتذراً: «رح اتأخر شي ربع ساعة» ـ «نحنا ناطرينك».

بعد دقائق كان هنا. المفكرة والصور في يد، والاخرى تؤدي السلام بصمت وبسمة، ينسيانك العينين الصخريتين والحاجبين المسنّنين، فوق السمرة المعدنية.

خطوة واحدة منه داخل المكتب، ويبدأ مشوار الحنين في الايام الماضية:

اعرفه منذ نحو عشرين عاماً، وهي المرة الثانية ادعوه الى لقاء. الشبه بين اللقاءين كبير كثيف، كدت اضيع اين انا وعمّا سنحكي.

اللقاء الاول منذ عشر سنوات تماماً. كنت طالباً جامعياً متمرناً في ذلك المستشفى، واستعد لسبر ذاتي، قبل ان اتحقق منها فاقتنع، واترك «الروب» الابيض هناك، على مقعد امراض الجسد... ونداء ثورة.

وهو كان راجعاً من سفر، تاركاً مجاذيف الثروة في بحر الشمال، وعائداً الى قناعة ذاته واهله وجماعته، ينقّب عن ثروته الحقيقية في معاناتهم والتطلعات، وهي ما كنا ندعوه يومها: قضية.

اتصلت به ودعوته الى لقاء وزملائي «البيض»، ليحدثنا عن مشروع، عن واجب، عن حلم كان يهمّ بتنفيذه، يومها كان مزمعاً، مع قلة من رفاقه، ان يصعدوا الى دير مهجور هناك، ليعيدوا اليه حياة، علها تنبعث في جماعة كاملة، لا بل الحلم كان يومها بحجم حياة شعب...

ـ «كيفها وفاء!»

كلمتان وينقلني من السنوات الماضية الى اللحظة، الى دعوتي الثانية له، جاءها ليخبرنا كيف عاد من دير آخر ابعد، جاء ليحدثنا عما حصل معه فوق، فيُشركنا في اساسه والمرتجى، جاء شاهداً، مبلغاً، كدت اقول... رسولاً!

عشر سنين مرّت، اشياء قليلة تغيّرت. منها الوان ثيابي وثيابه، المكان والزملاء...

واشياء كثيرة ما زالت كما هي، اهمها وجع التغرّب، فهم ذاتينا والناس، والتزامنا الحلم، ننعشه بأنابيب الايمان الدقيقة، وسط تلوثات نكسة الزور، ونقمة القهر وتجارب الخطأ والاصابة.

عشر سنين مرّت، حفلت بأحداث كافية لتأريخ قرن او اكثر، في اواخرها هجر ديره الأول، او هجّر منه كما رفاقه، البعض غادر معه، البعض الآخر لا يزال هناك، سبق مواعيد الرحيل والتهجير، غفا تحت السنديانة الكبيرة واتحد بالغصون. بعضها تعمّد باسماء سليم وسمير وغسان وآخرين، لم توقظهم صفّارات «التران» ولا هدير المحدلة...

منذ «التهجير» اقرأ في عينيه رغبة الشهادة، جوعاً لها وعطشاً. كأنه اشتاق الى الراحلين اليها. صلّى لهم لئلا يبعدوا، او هم صلّوا له من بعيدهم ليتكل بغارها. الا انه لم يحسب يوماً، ولا

مخيّمان. أوّل شيء قمت به هو ارتداء الـ «تي. شيرت» والكنزة. تطلّعت من حولي وكان الدمع ينزل غزيراً من عينيّ من دون أن ابكي. ولا ادري كيف كنت اتّسع لتلك المشاعر التي أعجز عن وصفها».

«ثم بدأ يتجاذبني إثنان: رأسي الذي يريد التحليل والذي بدأ يتذاكى. صار يقول لي «كنت تحلم» لكنه لم يكن يقنعني. ففي أعماقي كان هناك شيء واضح ومطبوع فيّ. تطلّعت إلى الشمعات فاكتشفت أن نصفها قد ذاب أدركت ان وقتاً طويلاً قد مرّ. فالتفت إلى الساعة في يدي وقرأت الثالثة و٣٥ دقيقة. عندها فهمت لماذا هذا الوجع في ركبي وظهري فقد أمضيت نحو أربع ساعات راكعاً ولم أحسّ بالوقت. تمدّدت إلى جنبي، حرّكت قدميّ، أطفأت الشمعات ووضعتها مع الانجيل في الكيس ودموعي تكرّ من دون توقّف. وأنا نازل على طريق المحبسة أحسست بعقص صغير في زندي فحككته وفكّرت «شيء ما عقصني». وأكملت طريقي لكنني لم البث أن شعرت بيدي وكأنني رميت كحولاً على جرح صغير. بين رأسي المشغول بـ «الحلم» واللهيب الذي احسّه على يدي وصلت إلى السيّارة. أشعلت ضوء «البروجكتور» فيها وشمّرت عن زندي. ورأيت آثار تلك اليد كمن لقطني أحد ما على زندي. أصابع خمس محفورة في شكلٍ دقيق

لم يعرف كيف اتت تلك «اليد» على زنده

محاطة بوهج أحمر كالنار. تجاذبني شعوران: رأسي تفاجأ وصمت، وما عاد يحلّل، لأنه ما عاد يظبط معه شيء، ونفسي المرتاحة الساكنة التي ما عاد يقلقها التفسير العلمي وأسئلة «رأسي».

«أدرت السيارة وعدت إلى المنزل. أوّل مشهد أتذكّره دخولي الى المدخل وإضاءة الضوء. عندما نظرت زوجتي إلى وجهي سألتني: «شكلك غريب، هل حدث شيء معك؟» فأريتها يدي فعادت وسألت بعد أن رسمت إشارة الصليب «يد مَن هذه؟». فارتحت لأن أحداً غيري رأى أيضاً هذه «اليد». لأنني ظننت لوهلةٍ انني وحدي أراها».

١٠ تشرين الثاني كان يوم خميس. لم يخرج ريمون من منزله. مكث وحده يحلّل. لم يكن يعرف إذا كانت هذه اليد جرحاً أو رسماً أو حرقاً. السبت اتّصل بالمطران خليل أبي نادر لأنه درس في مدرسة الحكمة ومعتاد عليه. تفاجأ المطران أبي نادر بعدما استمع إلى القصّة وقال «نعمة ربنا تكون معك» وطلب منه أن يعرض يده على أطباء. قصد مستشفى أوتيل ديو لكن الأطباء الاختصاصيين كانوا قد غادروا لأنه يوم سبت. فطلع في اليوم الثاني الأحد إلى عنايا وقابل رئيس الدير الأب توما مهنّا الذي تأثر بعدما رأى يده. قال له ريمون «بس صير اقدر إحكي ببقى احكيك» وأحسّ ان الأب مهنّا فهم عليه. فقد طلب منه أن يكتب ما حدث معه وأن يرجع ما إن يستطيع.

وقصد مجدّداً مستشفى أوتيل ديو لأن أخاه طبيب هناك وكان مسافراً لكنه يعرف زملاءه. للمرّة الأولى سمع من الطبيب هاني قطّار أن تلك «العلامة» هي حرق، من قبل لم يكن يعرف ما هي. وأحاله إلى اختصاصي الدكتور فادي فرّان الذي «طلب منّي أن أنزل إلى الطوارىء لنزع الجلد المحروق وأعطاني الأدوية. لكنني رفضت معالجتها وهو رفض إعطائي تقريراً

هم ربما، انه سينالها حياً واعياً، اكثر من اي حي آخر، واكثف في اي لحظة وعي اخرى.

الصيف الماضي قال لي يوماً: «شو رأيك بـالاب تارديف؟» ولم ينتظر جواباً، ليكمل «الاسبوع الجايي رح حاول التقي فيه عند المطران ابي نادر». لم اتوقف عند الامر، حسبتنا سنلتقي معاً مع الآلاف في ملاعب الحكمة. غير ان قصده كان مختلفاً. كأنه تواعد مع النور منذ ذلك الوقت، وكان ينتظر رفيق الدرب والموعد، كأنه ادرك ان الوقت يقترب لم انتبه الى لهفة الانتظار في صوته والعينين. كنت انا في وجع آخر، اكثر دنيوية ومادية.

ويوم تحادثنا عن اصعب الايام التي نعيش سألني عن قصيدة كيلينغ، تلك التي يروي فيها مواجهته مع الرب، ولومه له لتركه في ساعات شدته. فاعاد الرب امام عيني الشاعر مسار حياته، قـائلاً: «انظـر، اترى آثـار القدمين الملاصقتين لآثار قدميك؟ هذا انا. كنت دوماً الى جنبك». لكن الشاعر اعترض: «لكن ههنا، لا ارى سوى قدمين اثنتين. تلك لحظات عثـرتي». فابتسم الرب مجيباً: «هذا صحيح. الا انها آثار قدمي انا، في هذه اللحظات بالذات كنت احملك على ظهري واقطع بك العثرات والصعاب».

يومها فهمت ان ريمون لم يكن يمشي. توهّمته واقفاً. اما هو فكان مدركاً انه يسابق زمننا المتسرع، محمولاً على غير قدميه...

وعلى غير قدميه، وصل الى عنايا ليلة التاسع من تشرين الثاني الماضي، كما في الليالي الخمس والستين السابقة. تأمل الكون بعين المادة، فأدرك لا وجوده هو وعدمه: «غبرةٌ انا تعجز حتى المجهر». عاد الى الرب فامتلك الكون، سيداً له، اصلاً وغاية.

بعد الحادية عشرة ليلاً بقليل، كان اللقاء: «نور لا يوصف ضياؤه، لكنه لم يبهر عيني ابداً». ترك جسده جاثياً هناك على السطيحة، وهام بروحه على جنح محبة «تفجر جسدي لو كنت ساكنه». تقدم اليه، اتحد بالنور، فعاش الخلاص، ذاق الرب، وادرك معنى ان يكون مع يسوع!

اربع ساعات قبل الفراق، لم يشهد مرورها غير ذوبان الشمعات الخمس. اما هو فما كان هناك، راح بعيداً، بعدنا عن النور، بعدنا عن المحبة. قبل ان يعود، وقد قرر ان يمسك بأيدي من يحب، داعياً الى اجتياز المسافة...

حين اخبرني بعد ايام، قال: «كنت دوماً حين اصلي، اطلب من الرب ان يعطيني علامة تؤكد لي انه سمع صلاتي». ولما اراني ذراعه، تجمد لساني، سألني تعليقاً فلم اجب، لم يرتقِ الى ذهني الى ما بعد خلايا العقل.

امس في ختام شهادته امامنا، دخل زميلنا ليأخذ له بعض الصور، رفع قميصه ونظر الي. في تلك اللحظة ادركته، فهمته، تذكرت تعليقاً تأخر اشهراً، فردّدته في قلبي: «ريمون، خبىء ذراعك، مزّق الصور، وكنْ انت العلامة».

جان عزيز

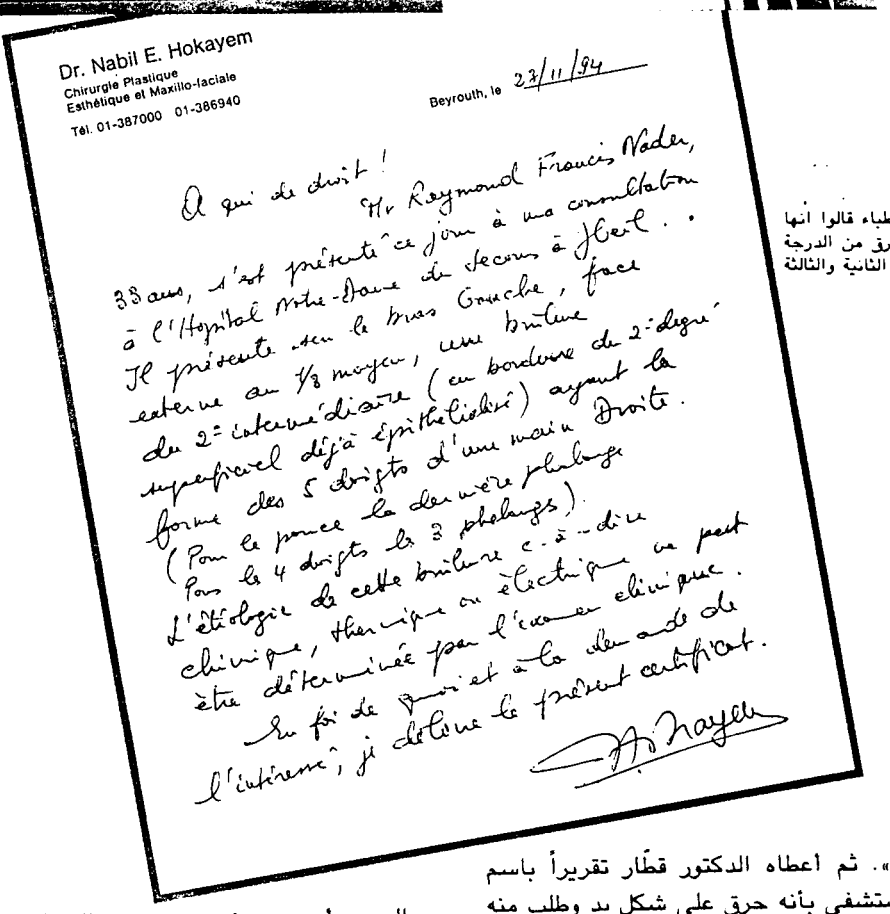

Dr. Nabil E. Hokayem
Chirurgie Plastique
Esthétique et Maxillo-faciale
Tél. 01-387000 01-386940

Beyrouth, le 23/11/94

A qui de droit !

Mr Raymond Francis Nader,
38 ans, s'est présenté ce jour à ma consultation
à l'Hôpital Notre-Dame de Secours à Jbeil.
Il présente sur le bras Gauche, face
externe au 1/3 moyen, une brûlure
du 2e degré superficiel déjà épithélialisé (en bordure du 2e degré)
superficiel déjà épithélialisé ayant la
forme des 5 doigts d'une main Droite.
(Pour le pouce la dernière phalange)
Pour les 4 doigts les 3 phalanges).
L'étiologie de cette brûlure c-à-dire
clinique, thermique ou électrique ne peut
être déterminée par l'examen clinique.
En foi de quoi et à la demande de
l'intéressé, je délivre le présent certificat.

طبياً». ثم اعطاه الدكتور قطّار تقريراً باسم المستشفى بأنه حرق على شكل يد وطلب منه رؤية الدكتور نبيل الحكيّم لأنه اختصاصي. ثم كرّر عليه بوجوب معالجتها لأنّها ملتهبة. «لكن لم اكن أريد أن يلمسها أحد». ولم اكن اشعر ابداً بأي الم وهذا ما ادهش الأطباء.

الاثنين رآها الأطبّاء، وكانت يده تورّمت وتعبّأت ماء. لكن في المساء زال الورم والتصق الجلد والدم ليلاً على «البيجاما»، (التي لا يزال يحتفظ بها). في اليوم التالي لفّها بقماش وقصد الدكتور فرّان مجدّداً فقال له «ماذا فعلت بها؟ لقد التحمت» S'est cicatrisé (بالفرنسية). ثم تطلّع فيّ ولم يقل لي شيئاً. بعد اسبوع، وبناءً على إلحاح كبير من الناس، إمّا عن قلّة إيمان وإمّا من غيرتهم على صحّة ريمون، قصد الدكتور نبيل حكيّم في مستشفى المعونات. اكّد له انه حرق وسأله «من شو؟» وبعدما اخبره القصّة قال الدكتور حكيّم «انا مؤمن وهذا حرق بالتأكيد». واستغرب عدم الاحساس بأي الم منذ البداية. اعطاه تقريراً بذلك ونصحه بضرورة إجراء عملية زرع للجلد إذا لم يلتحم في مكان بليغ العمق. «وعندما قصدته في المرّة الثانية كان الجرح التأم نهائياً ولم استعمل الادوية التي وصفها لي حتى تلك الخاصة "الحكاك"».

«ولأن بعض الناس فكّر أن الأمر قد يكون «نفسيّاً». التقيت طبيباً نفسياً. تأثر بروايتي وقال انه من الصعب أن يكون أمراً نفسياً قد سبّب الحرق».

اليوم بدأ ريمون يخرج من صمته إلى العلن. تردّد كثيراً قبل اعلان شهادته أمام وسائل الاعلام. بدأ أوّلاً يخبّر الناس من حوله وبدأ الخبر ينتشر فطلب منه مرّات عدّة إعطاء شهادته أمام جماعات ملتزمة. وفي بعض الكنائس والأديرة والرعايا يعتبر نفسه مسؤولاً لايصال تجربته و «الرسالة» الى الجميع «علّهم يدركون ما أدركته. الناس يرون الحرق. امّا انا فأرى اثنين: الحرق الذي تلتقطه الحواس وتراه العيون، والأهمّ الحرق الرائع في داخلي والضخم جداً لأنّه طوّر نظرتي للعالم ولله وللناس شكلاً واساساً. الحرق ليس سوى الجزء الصغير الذي يطوف من الجبل الذي فيّ. لمست عالماً آخر هو عالم الحقيقة. بعد هذا اكتشفت كم انا ضعيف وكم أن جسمي يكبّلني ويحجبني عن الحقيقة، هو عقبة بين هذا العالم والعالم الذي «انتقلت إليه» أو «وصلني» لمدّة صغيرة من الوقت».

«اليوم صرت أحبّ بشكل مختلف. من قبل كان في محبّتي شيء شخصي ينبع من ذاتي الضعيفة، لمست محبّة صافية مثل الضوء، مجرّدة، ليست مثل المحبّة في هذا العالم المزغولة بالأنانيّة. ما من حبّ صاف إلاّ بالمسيح، خارج المسيح ليس من حقيقة، كل شيءٍ وهم. صرت أشعر أن الانسان مصنوع من تراب ونور. والناس في شكلٍ عام، يهتمّون بالتراب أكثر من النور. يمتلكني شعور نابع من محبّتي لكل الناس، بأن انقل إليهم لمس ذلك العالم الآخر لأنه شيء رائع جدّاً. إنه إحساس كمن يقرأ كتاباً جيّداً أو يرى منظراً جميلاً ويحب مشاركته مع الآخرين الذين يحبّهم.

«الأهمّ الرسالة التي تلقيتها. والطريقة التي وصلتني بها الرسالة. اجهل من «حدّثني» أو «تجلّى» أو «ظهر عليّ». لا أعرف أيّ تعبير يجب استعماله. ربّما كان مار شربل أو مار مارون أو يسوع. المهمّ أن الجوهر واحد. وانّ التعريف حدث بالشعور وانّ الرسالة لم تكن بالكلمات. لم يقل لي أحدٌ «أحبّوا بعضكم بعضاً وإلاّ ستأتي الكوارث». إنّما «تلقّط» هذا الشعور فيّ وصرت أشعر انه من المهمّ نقله. اختصر وأقول «لقد لمستني المحبّة... محبّة السماء المحبّة الحقيقية...».

«من زمان وأنا أفتّش عن الله في عقلي، اليوم اقتنعت جدّاً أن عقلي ضعيف جدّاً ليدرك الله ويحلّله ولم أعد حتى أفكّر لماذا أنا، ريمون، متزوّج وله ثلاثة أولاد، مهندس ومدير شركة، حدث معي هذا الأمر. بتُّ أعرف حجمي الصغير وانني لن أقدر أن أعرف...».

«صرتِ «أحسّ» الله أكثر مما افكّر به. إني مثل القمح، في «الكثير من الأفكار لكنني «زاموقة» ضيقة لا استطيع اخراجها منّي إلاّ ببطء. كنت أحلّل كثيراً. انا مؤمن لكنني كنت أجرّب برهان إيماني بشكل علمي، امّا الآن فما عدت أحاول. الانجيل لا يحلّل بل يُعاش ويُحسّ. اليوم أعيد كل قراءاتي. وأفهم الانجيل بشكل مختلف، مهمّ جداً أن نعيش الانجيل ونحسّه لا أن نفهمه فقط. بالنسبة لي، كان الله موجوداً وكنت أجرّب إثباته علمياً لكنه اختصر الطريق عليّ وبرهن لي وجوده من دون تعذيب الرأس. كمن يريد القول بالوقت نفسه (وإذا بدّك تبرهن علمياً اصطفل)».

وريمون ناضر، يتابع اليوم حياته الطبيعية في العمل والمنزل. طبعاً يعطي ما حدث له أولويّة «وإذا بدّي اضطر إترك شغلي أفعل». لا يزال يقصد يومياً ولمدّة شهرين أو ثلاثة سنوياً مكاناً هادئاً ليصلّي. مرّة، ابصر في نومه ليلاً انه يسلّم رسالة للمطران بشارة الراعي، فقصده. لم يقبل المطران الراعي بجلسة سريعة فعاد وجلس معه جلستين أو ثلاثاً وأعطاه تقريراً طبياً و «البوم» صور ليده التي وبحسب طلب الأطبّاء كان يصوّرها يومياً وما عاد بعدما ثبتت العلامة نهائياً على حالها.

وإذا أراد ريمون اختصار رسالته الطويلة بكلمتين يقول: «الحاقد تافه. السلام خارج المحبّة مستحيل. لا السلطة ولا المال أعطتني جزءاً من هذه المحبّة وهذا الشعور بالسلام».

لينا خوري

النجوى ٢٧/٣/١٩٩٥

الاطباء قالوا انها حرق من الدرجة الثانية والثالثة

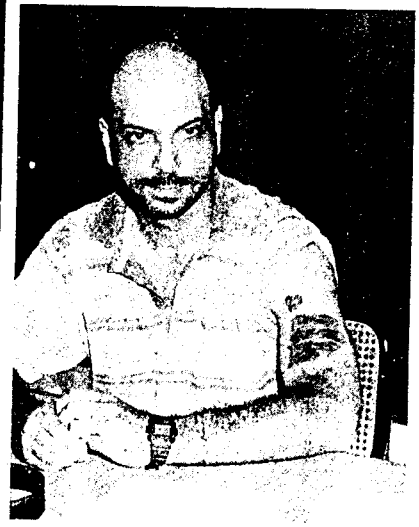

ليلة العيد

ركع الثلاثة... تجددت العلامة يد الله على يد ريمون اعجوبة مار شربل تتكرر

المحبسة من خارج

٩ تشرين الثاني ١٩٩٤ ذهب ريمون ناضر الى مار شربل وحيداً ليتأمل ويُصلّي فأحس بحضور قوي يقترب منه وعاد بشيء قوي مطبوع في اعماقه، وبخمسة اصابع محفورة في شكل دقيق على ذراعه اليسرى ومحاطة بوهج نار أحمر.

١٥ تموز ١٩٩٥ بعد ثمانية أشهر وستة أيام، عشية عيد القديس شربل، صعد ريمون الى المحبسة مع رفاقه وكان «في داخله شيء يغلي»، وآثار الاصابع الخمسة على زنده تلاشت بنسبة كبيرة، فالتقى راهباً ونوراً قوياً وعاد مع علامة جديدة فوق العلامة الأولى: الاصابع الخمسة إياها اشتعلت في شكل اوضح واكبر واعمق... وعاد مع رسالة: ليش البشر نازلين نزول ودرب المسيح طلوع!»

بين المرتين الأولى والثانية ماذا تغير؟ «الحرق الرائع في داخلي» كما يسميه ريمون جعله يُعطي ٣٧٠ شهادة محبة خلاصتها: ما من حب صافٍ خارج المسيح. والحرق الثاني الذي تلتقطه العيون والحواس على زنده كبر وصار أوضح «ويظهر انه ناتج ايضاً عن يد يمنى لكن آثارها اكثر امتداداً من الآثار التي عاينتها قبل تسعة اشهر» يقول الاختصاصي...

بين المرتين الأولى والثانية ماذا تغير؟ ريمون رجع اكثر فرحاً «بهذا اللمس من محبة السماء»، ومحبسة القديس شربل كانت يومها مثل قطعة سماء على الارض كما قال خادمها الاب ادمون خشان، وقالها عشرات وألوف من المؤمنين طوقوا المنطقة عشية ذاك السبت في الخامس عشر من تموز. ماذا حصل يومها؟ «المسيرة» زارت المكان وسألت، وشهود تحدثوا..

لم يكن حرّ تموز بالتأكيد هو الذي نثر الناس منذ صباح ذلك اليوم بالمئات والآلاف مشياً على الأقدام على طول الكيلومترات الخمسة عشر بين جبيل وعنايا. ولا الرغبة في «ويك اند» طويل بعيد عن ضجيج المدينة... كان في مشهد المسيرة الطويلة التي ضمت كباراً وصغاراً، نساء واطفالاً، انطباع ان هناك مَن يناديهم وهم يتحرقون لتلبية النداء. ابتداء من مفرق عنايا عند حاجز الجيش اللبناني اختنقت الطريق بالسيارات والبوسطات والمشاة. وكذلك من مفترق العويني في اتجاه المحبسة، ومن مفترق مشمش في اتجاه عنايا. شعاع بشري مثلث الاضلع طوّق عيد القديس شربل من كل الاتجاهات.

... بين الواصلين اول المساء ريمون ناضر مع رفيقه جان اسطفان، وكانا يفتشان عن رفيقهما جورج افيديكيان الذي سبقهما الى عنايا مع عائلته. فاتفقا ان يذهب جان للبحث عنه على ان يلاقيا معاً ريمون في المحبسة في ما بعد. في هذا الوقت وصلت المسيرة النازلة من محبسة القديس سالكة «طريق القديسين» في اتجاه الدير. ولم يشأ ريمون ان ينضم اليها متأخراً، فاستدار ليلاقيها من الجهة الخلفية. كان يمشي ناظراً الى الارض وهو يشعر بأن شيئاً ما في داخله يغلي.

وفجأة شاهد راهباً في زي الرهبان العتيق يضع الاسكيم فوق رأسه. لم يقدر ان يرى وجهه لأنه كان يسبقه بخطوات ويلحق بالمسيرة نزولاً. فكّر ريمون كم من النادر هذه الايام ان نرى رهباناً يغطون رؤوسهم... وهمّ ليسأله الى اي رهبانية ينتمي، فإذا به يسمع الراهب يخاطبه من دون ان يرفع وجهه عن الارض «شو بهن هالبشر نازلين نزول ودرب المسيح طلوع»...؟ سمعها ريمون بأذنيه وكانت آخر ما سمعه بحاسة سمعه: «من تلك اللحظة لم يعد رأسي ملكي. بل تحول صفحة بيضاء تتلقى فقط. لم اسأل شيئاً. بقيت ماشياً خلفه وكنت اسمعه بحواس اخرى لا اعرفها... ولا اعرف كيف افسّر انه كان يحكيني من دون ان يحكيني. الامر شبيه بتخاطب عاشقين بدون كلام او نظرات. مشينا بضعة امتار نزولاً، ثم استدار وذهب صعوداً صوب المحبسة. بطواعية غريبة لحقت به واكملنا الحديث. كنت انظر الى الارض فأرى قدميه وظلّ ثوبه، وعندما ارفع رأسي صوبه لا ارى شيئاً. وصلت الى الطريق العامة المحاذية للمحبسة. لم اعد اراه. لا

اقرن حقي برسالة شربل

... وبعدما انتهى من اطلاعي على ما جرى معه توقف ثواني، ادخل نظره في قعر رأسي كمن يسبر روحاً بدفقٍ من نورٍ ثاقب، ولبث ينتظر جواباً او تعليقاً.

ـ شو بدُّو؟ شو هي الرسالة اللي حمّلك ياها؟

وامتزج السؤال بلهفة المترقب، بحرقة المتمنّي لو يأتي الجواب وفق ما يفكّر السائل ويأمل ويصلّي، لو يأتي الجواب ان يحمل البشر، كلّ البشر، رسالةً تنقد في قعر رأسي.

عفوك ريمون، عفو عنايا والقديس ويسوع، عفو الذراع والجرح. فانا مثلك ايضاً ذراع ملتهبة في جسمٍ دامٍ. هي الذراع روحي، قد التهبت بنار العهد المتمادي سكن القصور وشاغليها، وهو الجسم شعبي، اثخنته الجراح حتى التبست معرفته على قديسك، وان تعرّف، قد لا يجد في الجسم مساحةً لوضع كفّه، كأنما سبقه جميع القديسين، او جميع اكف الشياطين! قل له لا، لم يتأخّر عن بقية الهالات، قل له انّ شعبي يعتقد انهم تأخروا جميعاً.

عفوك ريمون، عفو عنايا القديس ويسوع، فما انا بكافر. مع انني للسنتين الماضيتين، اختزنتُ من الاسباب ما يكفي لتكفير شعب، ومع انّ يوماً من حزيران الماضي ترك في وجداني ثقباً يكفي لفيض اسباب كفري على كل الارض.

ما انا بكافر اذا سألتك ان تسأل ربي وربّك عن ظلم نعيشهُ، عن قهر نعانيه، عن كذب متسلّطٍ عن زور حكمٍ عن تشويه عدلٍ عن جور عهدٍ، عن عربدة منسقٍ فوق صدور اخوتي، عن وجوه العمالة تحاضر بالقوة، عن ازيز العلق ينهب دمامعهم البريئة، اسأله عن الخنجر المستور يتبجّح بصنع سلمٍ، عن عنف الاجساد والنفوس والافكار يحصّن للقاصب نظاماً، عن اقدام غريبة تسحق ثرابنا ذرّة ذرّة لتحمي لنا وطناً، اسأله عمّا تعجز كل قواميس ايالسة جهنّم عن وصفه، وابلغه انه حاضرنا اليوم.

ريمون، اسألك رجاءه عني الاّ يحدثني عن سماءٍ هناك، فانا سمائي تبدأ هنا، ولا يعللني بخير هناك فدعوتي ان امحو شراً هنا، ولا يواعدني بابدٍ هناك، فقداؤه لي يفرض علي حياةً هنا، لن اتنازل عنها، ولن اقبل ان احياها بغير ما اراده لي.

وان امتعض ذكّره ان الذنب ذنبه، هو طلب الى الآب ان يُبقيني على هذه الارض، وهو الآب اراد له تجسداً فيها. لم يكلمني الرب من علياء، ولم يرم لي كتاباً من كوة في سمائه، بل جاء الي هو، جاء الي بيتي وارضي، فكيف أسأل ان اترك البيت واسفه الارض. لم يسكت الرب عن فريسيٍ ولم يمالق كتبة عصره، فكيف أُسأل ان اترك كلّ عصري لهم واقعد اترجّى ما بعد العصر؟ لم يقل الرب ادانة خاطئٍ لخاطئة، فكيف أُسأل ان اقبل ادانة... لبريء، لم يقف الرب ساكتاً امام بيت الصلاة المحتل، فكيف أُسأل ان القي السياط واترك الحيوانات في الهيكل، ولم يُسلم الرب نفسه الاّ وقد ارسى دعائم ثورةٍ قلبت التاريخ، فكيف أُسأل ان ازدري تاريخي واسلم نفسي لزمرةٍ من ما قبله؟

ريمون اتذكّر منذ نحو عشرين عاماً، يوم راينا غريباً في الليل يراقب بيتنا، فقمتَ في اليوم التالي تحمل السلاح وتبحث عنه وعن آثاره؟

اليوم اشتدّت ظلمة ليلنا، وكثر الغرباء وغاب السلاح، إلاّ حقي وصلاتك. صلّي لنا ريمون واقرن سلاحي برسالة شربل لك، فانا لن اسكت عن حقي، ولن اترك الصلاة، ولن اكتفي بها.

(جان...)

الغرفة حيث توفى

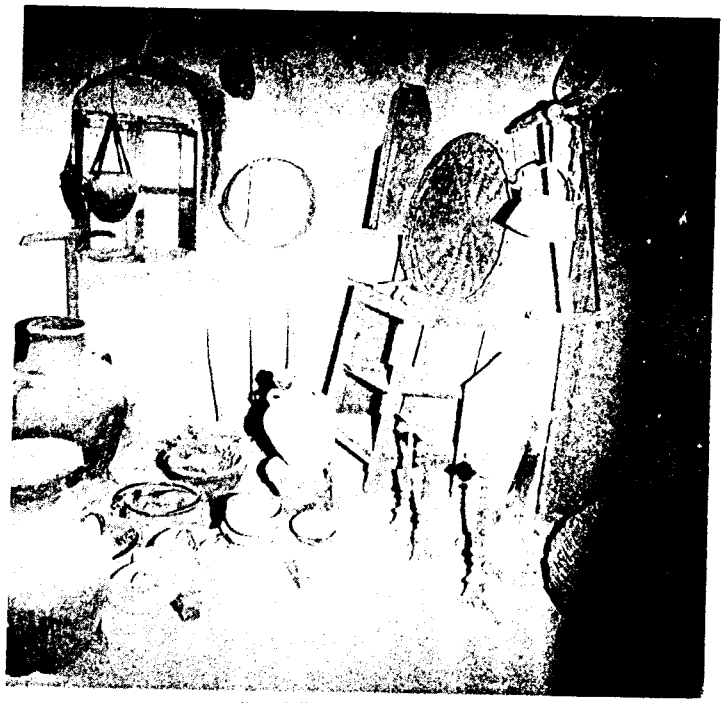

الادوات التي كان يستعملها الراهب القديس

لم اتساءل اين ذهب. لم اسأل نفسي اي سؤال. بطريقة او بأخرى احسست انه لا يزال معي ولكني فقط لا اراه الآن. وعند اسفل درجات المحبسة التقيت خادم المحبسة الاب ادمون خشان مغادراً، سألته بطبيعية وارتياح «لوين نازل والزلمي هويّ هون». فأجابني فوراً انه راجع... اكملت مسيرتي صعوداً. امام باب المحبسة حيث اعتدت ان اركع للصلاة. وقفت قليلاً كمن ينتظر شيئاً او احد وسمعته يخاطبني: «قوم نزال وشارك بالقداس ورجاع بيكونو شمعاتك حاضرين»... عدت من حيث اتيت في اتجاه كنيسة الدير. من القداس لا اذكر شيئاً. لا اذكر ان رفيقي جورج هو الذي قرأ الرسالة. ولا حتى اذا كنت تناولت القربان المقدّس ام لا ولا اني جلست وكأني لم اقدس ابداً».

في الخارج وبين عشرات ألوف الناس التقى رفيقيه جورج وجان فقال لهما: «مار شربل فوق وناطرنا». فترافقوا ثلاثتهم مع ابن جورج الصغير مشياً ثانية صوب المحبسة. هذه المرة لم يحضر ريمون شمعاته معه كما تعوّد كل مرة. فكّر ببساطة ان اليوم عيد ويستطيع ان يشتريها من فوق. كانت العاشرة ليلاً عندما وصلوا امام باب المحبسة المقفل وشاهدوا سبع شمعات حمر مستديرة مضاءة على شكل صليب، كما تعوّد (ريمون) ان يفعل. فسأله جان هل هو من اضاءها؟ فردّ ريمون بنبرة هادئة وحازمة: «ما قلتلكن انّو هون وناطرنا...».

ركع الثلاثة. ريمون في الوسط جان اسطفان الى جانبه الايسر وجورج افيديكيان الى الجانب الايمن وقربهم ابن جورج جاك، في الحادية عشرة من عمره. جورج وحده ركع لحظات ثم عاد ونام على ظهره فاتحاً يديه على

الحرق من الدرجة الثانية العميقة والمحروق لا يتألم...

HOTEL-DIEU DE FRANCE
Centre Hospitalier et Universitaire

Service chirurgie plastique esthétique et cranio- maxillo faciale

Professeur Associé NABIL E. HOKAYEM

Beyrouth, le 14/1/95

Docteur Nabil HOKAYEM
Chirurgie Plastique
Reparatrice et Esthetique
Chirurgie Maxillo - Faciale

Tel.: (01) 422970 - (01) 329966 - (01) 394860

شكل مصلوب، مما جعله يرى ريمون وجان من الخلف... راكعين وريمون صامتاً جامداً «مثل خشبة» طوال ساعة تقريباً...

ثم مرّت لحظات عبق فيها الجوّ برائحة البخور القوية من دون ان يكون هناك مَن يبخّر لأن المحبسة مقفلة.

وهنا بدأ الجزء الأصعب في القصة: جورج النائم على شكل مصلوب اندفع بحركة لاواعية ساجداً وجبينه في التراب، جان وقف وابتعد فناداه ريمون ليرجع ويركع بقربه وكان هذا آخر شيء يتذكر انه فعله قبل ان يغيب حسّياً عنهما: «من تلك اللحظة احسست بالنور الكبير اياه والحضور العظيم اياه. كان مثل ماء دفّاقة مضاءة لا لون لها، ولكنها تشع بضوء لا يوصف بكلام. وخلف النور رأيت مار شربل واحسست بوجود عجقة حوله وكأنه لم يكن وحده... مررت هنيهات مع تلك السكينة التي تقول لي: الشعور الذي تحسه هو انا... ثم قال لي وكأنه يردّني الى حيث كنت مع رفاقي: «هلق جايي خيي ادمون خشان (خادم المحبسة) يفتحلك المحبسة». وفجأة وقفت من دون ان ادري لأجد الأب خشان واصلاً ومعه أناس يُصلون... نظرت الى جورج وجان لأعرف ماذا حدث فأخبرني جورج انه سجد وجبينه في التراب وأحس للحظات بيد قوية على كتفه تشده الى الارض.. عرف في ما بعد انها كانت يدي، ثم شعر بحرارة في جسمه وانهمرت الدموع غزيرة من عينيه. اما جان فيقول اني اشرت بيدي الى

صورة مار شربل فوق المحبسة ثم كبسته صوب الارض...

قررنا ان ندخل للصلاة. الا جورج الذي نزل لملاقاة عائلته التي كانت لا تزال تنتظره في السيارة. جلست وجان في المقعد الثاني ثم غادرت بعدما شعرت بحرارة قوية في يدي اليسرى... لم اجرؤ على النظر اليها. طلبت من جان ان يتفحصها. نزلنا معاً صوب تمثال القديس شربل حيث بعض الشموع المضاءة وانتظرنا ان يبتعد الناس قليلاً. وفي هذه اللحظات تملكتني رغبة قوية في البكاء من الفرح، ولكن كنت اتجالد كي لا افعل. قرّب جان شمعة من ذراعي ونظرنا الى ما تحت القميص. كان «حرقاً» جديداً زهرياً واحمر، وكانت اصابع تلك اليد تظهر من راسها الى جذورها مثل العلامة الاولى».

الفرح الذي تغالبه الدموع جعل الرفيقين حائرين في ما يجب ان يفعلا. نزلا مرة جديدة مشياً الى دير عنايا وايقظا رئيسه الاب توما مهنا وانتظراه في المكتبة. متى رايت يدي آخر مرة؟ سأله ريمون ثم كشف عن علامته. فابتسم الاب مهنا حائراً بعدما نظر الى الجرح. ولما سأله ريمون عمّا يجب ان يفعله اجابه فوراً: «انت مَن يجب ان يعرف»...

خرج ريمون ورفيقه بين زحمة الزوار ومشياً في اتجاه واحد من جديد: المحبسة! كان خادمها الاب خشان «يُعرّف». انتظراه حتى انتهى ثم دخلا غرفة السكرستيا. هناك تعايدوا وصمت ريمون قليلاً قبل ان يذكّر الاب خشان من جديد بالمرة التي شاهد فيها «العلامة» على يده، «في حزيران قبل شهرين»... ولم يكمل الاب خشان جملته حتى انهمرت الدموع من عينيه. واخبرهم انه لم يكن في نيته فعلاً ان يرجع الى المحبسة عندما التقى ريمون عند نزلة المحبسة ووعده بذلك. لكن قوة غريبة ردّته الى هناء... (راجع الاطار) في ما بعد سمع الأب فادي متني (راجع الاطار) في الدير يروي ما رأته الطفلة جوانا نهرا عندما صعدا معاً الى المحبسة في الليلة ذاتها. لقد رأت مار شربل يمشي قرب ذلك الرجل ودلّت بيدها في اتجاه ريمون من دون ان تكون تعرفه اصلاً.

في السيارة بقي ريمون وجان حتى طلوع الضوء. فعاد الى بيته واخبر زوجته واولاده، ثم حاول ان ينام في خيمته قليلاً... وان يسترجع تلك اللحظات التي ذهب فيها الى عالم الحقيقة: «عالمنا هذا هو جسر العبور الى العالم الحقيقي. لقد اخبرني بذلك. نحن لا ندرك عالم الحقيقة هنا. كل ما نعيشه هنا هو وهم ومجد

الأب مهنا: الرسالة لم تكتمل بعد

لمّا طرق ريمون ناضر باب رئيس دير عنايا الاب توما مهنا بعد منتصف الليل لم يكن يعرف تماماً عما جاء يُخبره، فاخبرته العلامة التي على زنده الايسر... «ماذا يجب ان افعل؟» سأله ريمون فأجابه الاب الرئيس «انت مَن يجب ان يعرف. انا لا اقدر ان اقول لك شيئاً».

قبل بضعة اسابيع فقط تفحّص الاب توما ذراع ريمون ليجد ان ما بقي من «العلامة الاولى» لا يتعدى آثار اصابع خمسة شبيهة بخمسة اوشام بالكاد تظهر، لكن ما رآه عشية عيد مار شربل قبل اسبوعين جعله يبتسم حائراً: «ما يحصل مع ريمون شيء غير علمي على الاطلاق. وهو فوق المقاييس البشرية العادية المألوفة ويتخطى الظواهر الانسانية. المقصود ان ربنا عجيب بقديسيه، ومار شربل بالذات غريب بين القديسين: غريب في حضوره بين الناس، وفي تدخله في حياتهم، وحضوره هذا ملموس وغير عادي الى حدّ صار معه مار شربل تياراً بسيكولوجياً، يجمع الناس بعشرات الالوف كل ٢٢ من كل شهر، وفي كل عيد او مناسبة. وربنا يتدخل بواسطة هذه النعمة الكبيرة مار شربل. وفي كل حال انا اعتبر الرسالة الموجهة بواسطة اشخاص، مثل نهاد الشامي وريمون ناضر وغيرهم لم تكتمل بعد»...

الأب خشان: قوة غريبة أرجعتني الى المحبسة...

الاب ادمون خشان خادم محبسة مار شربل يعيش فيها ويسهر عليها حجراً حجراً، شمعة شمعة، طالما ابوابها مفتوحة للزوار. ليلة العيد كانت تعليمات رئيس الدير ان يلتقي جميع عائلة الكهنة في دير القديس شربل، وان تقفل ابواب المحبسة ليحجّ المؤمنون الى مكان واحد هو الدير والكنيسة. فاقفل الأب خشان ابوابها على رغم تجمع الناس حولها ونزل صوب الدير:

«التقيت ريمون عند اسفل نزلة المحبسة فعاجلني فوراً «لوين رايح ومار شربل هون؟» تكلم بنبرة قوية وواثقة وهادئة في آن، فاجبته تلقائياً ومن دون ان ادري، ومن دون ان يكون ما قلته في نيتي اصلاً: «طلق برجع»، وفوجئت اني لم اقلها كحسن تخلّص بل بامتنان واقتناع. وشعرت في تلك اللحظة باننا نحن الاثنين مأموران في ما نقول او نفعل. نزلت الى القداس وبعده انضممت الى اخوتي الكهنة على العشاء.. لكني لم اشعر اني جائع فعلاً. واخذت قوة غريبة تدعوني لأن اترك كل شيء وارجع، فقلت للأب الرئيس اني سأعود لأن زائرنا الاب الياس مارون غاريوس المصاب بالفالج يريد ان يزور المحبسة... لكني كنت اعرف ان هذا ليس السبب الحقيقي الذي دفعني الى العودة... في الطريق مشيت بغير ارادتي وحماستي وكأن في داخلي شخصاً آخر... حتى وصلت. كانت ساحة المحبسة تغصّ بالناس الخاشعين او الراكعين فوقفت لحظات مأخوذاً لا اعرف الى اين اذهب. ثم سمعت صوتاً في اعماقي ينبهني الى ان افتح الباب. ومن الخارج كانت ست شمعات على شكل صليب، استدرت من حولها وفتحت واضأت بضعة شموع في الداخل. وما لبث الناس ان دخلوا في خشوع غريب... وكأن احدهم في الداخل يناديهم وينتظرهم... دخلوا مثل محاربين يحاربون من أسابيع وفجأة راوا ساقية ماء فتركوا سلاحهم ولبّوا نداء العطش...

طلب مني الناس ان «اعرّفهم» فدخلت كرسي الاعتراف العاشرة ليلاً وبقيت فيها حتى الرابعة صباحاً. لم اتعب، لم اتضايق. لم انتاب مرة، وكأن كل الانفعالات التي تضعف النفس البشرية انهارت بقدرة جبارة. كان كل شيء حولنا يؤكد ان مار شربل كان بيننا: تلك القوة التي دفعتني لأرجع الى المحبسة، اختبار كرسي الاعتراف بكل ما سمعته من المؤمنين المعترفين، وجوّ المحبسة الذي خيّم عليه سلام وطمأنينة وسكينة غريبة جعلت المحبسة تلك الليلة مثل قطعة سماء على الارض...

بعد منتصف الليل بقليل دخل ريمون ومعه رفيقه الى السكرستيا في المحبسة. تعايدنا. جلس قريباً مني وفجأة سألني هل اذكر كيف رايت ذراعه آخر مرة، ثم كشف عن زنده فأحسست بأصابع حمراء خمسة تقفز الى عيني ودهشتي! كانت تبدو كأنها مسلوخة من وقت قصير، لكن «حرقاء» لم يكن قاسياً او شرساً او منفراً بل يشدّك برهبة وانجذاب غريبين... نظرت الى ريمون فلم تكن على وجهه ملامح عادية بل كان مغلّفاً بفرح غريب... للحظة تمنيت ان تكون هذه النعمة اعطيت لي انا ثم اشتعلت قوة في داخلي وكأن ما حدث مع ريمون حدث معي انا، وكانت هذه تعزيتي.

وفي اليوم التالي احسست ان مار شربل كان قربي على المذبح يُحيي الذبيحة الالهية وركّزت لاشعورياً في وعطلتي على وجوده هنا معنا... لانه يريد ان يقول لنا ان هذه المحبسة الوضيعة هي التي اوصلته الى الله. واننا بالفقر والتواضع والعفة والصلاة نصل اليه وليس بالمناصب والقصور.

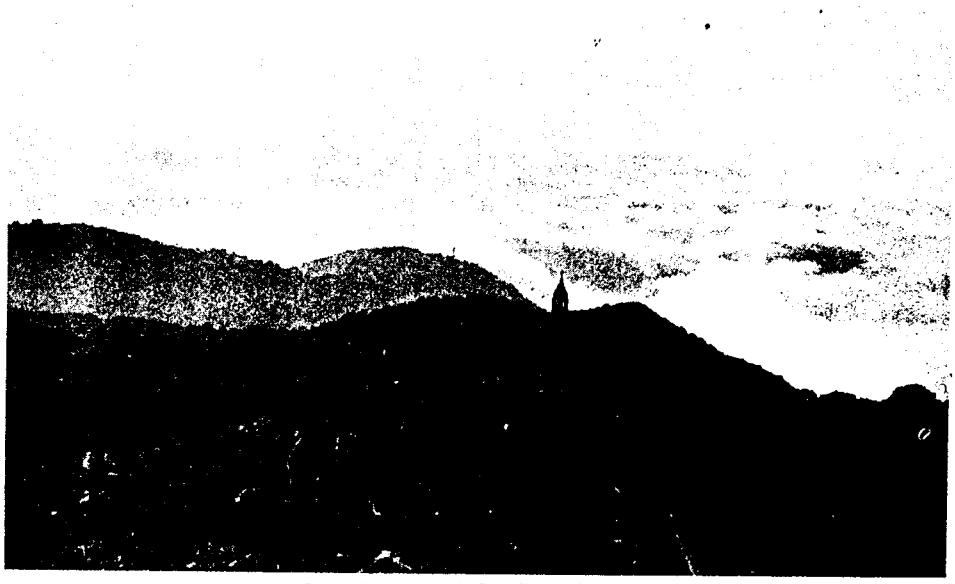

الدير والكنيسة الجديدة، من المحبسة

جان اسطفان: طلب ان أقرصه ليصدّق

قبل اسبوع من عيد القديس شربل كان يسأله «كيفك» فيُجيبه ريمون: «ما بعرف» ويُخبره عن البركان الذي يشعر به في أعماقه. وكان في قلب جان اسطفان رفيق ريمون احساس بأن عيد مار شربل لن يمّر عادياً:

«يوم العيد بدا ريمون غريباً.وعندما توجهنا معاً الى المحبسة فوجئت بالشمعات في الخارج وقد اضيئت ثم انتبهت الى انه قد يكون هو الذي اشعلها. سألته، فأجابني بنبرة عادية «ما قلتلكن مار شربل هون وناطرنا»؟ لم يكن اخبرني عن الراهب الغريب الذي التقاه في المسيرة، ركعنا نحن الثلاثة ومعنا جاك ابن رفيقنا جورج. كان الهدوء غير عادي، وكانت سعادة داخلية مبهمة تغمرني وعيوني مسمّرة على صورة القديس الكبيرة فوق المحبسة. وفجأة احسست اني احجب الرؤية عن الناس الذين كانوا ورائي، فابتعدت ووقفت خلف جورج، لكن ريمون ناداني مرتين لأرجع الى جانبه، ركعت من جديد وشبكت يدي واغمضت عيني. وإذ بيد ريمون تشدني من كتفي وتدلني الى صورة القديس فوق المحبسة ثم تضغط لأسجد... طوال عشر دقائق بقيت يده فوق كتفي وبقيت ساجداً. حتى وصل كاهن المحبسة وفتح لنا وللناس بابها. في الكنيسة اخبرني ريمون بنبرة غريبة ان يده «ترعاه» وانه خائف من ان يتفحّصها بنفسه. خرجنا معاً وتحسست بيدي من الخلف. فوجدتها رطبة. ثم اقتربنا من الشمعات قرب تمثال القديس شربل لنراها بوضوح وقبل ان ارفع كمه عنها قال انه يحسّ الشعور نفسه الذي خالجه في المرة الاولى. وبعدما كشفت عن زنده قال بنبرة مرتعشة: «اقرصني يا زلمي انا نايم. انشاالله بوعا وبلاقي حالي بالخيمة بالغيني...» ولما تأكد انه ليس نائماً. مشى مثل السكران نشوة وفرحاً وحيرة.

جورج افيديكيان: الروح القدس كان معنا

جورج افيديكيان يعرف ريمون ناضر من سبعة اشهر يوم بدأا بالصلاة معاً. والصلاة تكون وحده ومعرفة بينهم وبين يسوع وبين بعضهم البعض كما يقول. امام المحبسة كان الى يمينه يُصلي كما يحب ان يُصلي: مصلوباً ثم ساجداً بقوة ووجهه في التراب: «احسست فجأة بيد قوية تضغط على كتفي صوب الارض كانت يد ريمون...» ثم شعرت بحرارة كبيرة في جسمي ونزلت دموعي بشكل حار. لم ار شيئاً بعيني ولكن بقلبي بلى.. كان الحضور السماوي تلك الليلة اقوى من كل الادلة. وشعرت بدعوة لأن اغسل بدموعي كل الخطايا التي ارتكبتها ضدّ المحبة. واحسست انه يغفرها لي. وإذا كان ريمون رأى بعينيه فأنا رأيت بقلبي والعلامة يُرسلها الربّ ليثبت لنا ان ما نراه بعيوننا... حقيقة! ويُعطيها ليضاً ليفتقد شعبه، ربما لأن الناس بحاجة احياناً الى علامة حسيّة ليؤمنوا او ليثبتوا ايمانهم. والصلاة تجعلنا نختبر كم ان الله يمنحنا عطايا ومواهب نسميّها احياناً اعاجيب. لكن الحقيقة ان الروح القدس هو الذي يرافقنا دائماً ويحمينا ويقوينا بعلاماته والاشارات. والمهم ان نشهد للرب في كل ما نفعل.

باطل ونحن ننتمي الى عالم الحقيقة التي تبدأ بطريق المسيح. كان يحدثني كأنه يفهم اكثر من اي عالم ذرة في الكون: المحبة هي هذه الطريق والانسان الضعيف لا يقدر ان يُحب دائماً بلا حدود الا اذا استمد هذه المحبة من نبع كبير هو المسيح. و.. اعطاني مثلاً حين شبّه الانسان بالقنديل الذي نشتريه لنضيء به عتماتنا. فنأخذه نحن البشر ونلّون زجاجته ونزخرفها في شكل يحجب عنّا النور. يصير شكله الخارجي جميلاً اما نوره فضعيف. اذاً يجب ان نترك زجاجة القنديل شفافة. الرب سأل بواسطة الراهب الماشي خلف المسيرة: «ليش البشر نازلين نزول ودرب المسيح طلوع؟». يريد ان يعرف لماذا نحمل اعباء ثقيلة وننوء تحتها ولا نسلّمها له ولمشيئته. العبد لن يقدر يوماً ان يُحرر عبداً إلا اذا تحرر هو. والمسيح وحده مَن يُحرر العالم. دعانا الى ان نسلّم احزاننا اليه والا نفتش عن طريق غير طريق المسيح، لأننا نحن ابناء الله ريجب ان نتصرّف بما يليق بأبوته لنا... العالم الآخر موجود لقد جعلني أراه وأفهمني اننا لا نغيّر ذرة في هذا الكون، وقيمتنا اننا ابناؤه ومدعوون الى الاتحاد به في عالم آخر موجود وكامل وحقيقي»...

ريمون لا يريد ان ينظر الناس الى يده وان يكتفوا، لأنهم هكذا كمن تسلم رسالة ولم يقرأها! والمطلوب ان يقرأوها بقلوبهم. اما العلامة فيعطيها الرب، لأن الناس يحتاجون احياناً الى علامة حسية، لكي يؤمن غير المؤمن وليتشدد ايمان المؤمن...

بعد ٤٨ ساعة على تلك الليلة في المحبسة، نظر الاختصاصي في الجلد والتجميل البروفسور نبيل حكيّم طبياً الى تلك العلامة، وكتب في تقريره من جديد: «انه جرح ناتج على الارجح عن حرق حراري حصل قبل ثمانية واربعين ساعة... وهو يبدو من الدرجة الثانية العميقة، وهو قابل للتقييم اكثر حسب تطوره. هذا الحرق استجد فوق حرق سابق مطابق تماماً له حصل منذ تسعة اشهر. ولا يبدو انه قابل للالتهاب في الوقت الحاضر. المريض لا يتألم ولم يستعمل اي علاج موضعي. والآثار هي ليد يمنى، ولكنها اكثر امتداداً من الآثار التي عاينتها قبل تسعة اشهر»...

«العلامة» التي في زند ريمون قد تشبه «الحرق» ربما، لكنه في داخله اصبح يحمل «علامة» رائعة يتوق كل يوم اكثر لأن يُخبر الجميع عنها.

جاكلين سعد

النجوى ٣١/٧/١٩٩٥

ريمون ناضر، للمرة الثالثة

عندما بدأ الاحتفال بالذبيحة الالهية مساء الجمعة ١٠ تشرين الثاني ١٩٩٥ على تلة التجلّي في محبسة القديس شربل، شعر ريمون ناضر ان شيئاً ما سيحصل. وما ان رفع الكاهن الكأس المقدسة منشداً «الأقداس للقديسين» حتى شعّ نور قوي اخترق عيني ريمون وقلبه. للحظات تسمّر وصار مثل الخشبة تماماً كما في المرتين الاولى والثانية. و... وحدها الرسالة تغيرت بعد ان كانت ترتقي الى مستوى الانسان والله والوجود...

الحروق العجيبة مع نور على زند ريمون ناضر وامامه

يصلون الوردية من كنيسة المحبة

تنصت الى حضور القديس

العلامة الثالثة (تصوير ابراهيم نصر)

تلك الليلة كان مقرراً ان تكون المرة الاخيرة التي يجتمع فيها المؤمنون على تلّة التجلّي للمشاركة في الصلاة والتأمل. اذ ارتأى الآباء القيّمون على المحبسة، الاحتفال بالذبيحة الالهية السابعة مساء كل جمعة في كنيسة دير مار شربل بسبب تردي الاحوال الجوية في فصل الشتاء، ولغياب التجهيزات اللازمة من تدفئة ومقاعد في كنيسة المحبسة. لكن القرار قابله اصرار على القداس في ساحة المحبسة او الغرف والأروقة.

وعلى رغم الامطار الغزيرة وسوء الاحوال الجوية تلك الليلة شكل حشد المؤمنين ظاهرة. «ربما لانها الذكرى السنوية الاولى لطبع القديس شربل علامة على زند ريمون او هو الايمان الذي يتحدى كل العوائق البشرية والمادية». والظاهر ان تحليل الآباء والكهنة كان صائباً. فالجميع من دون استثناء كانوا في حال روحانية مميزة اما ريمون فكان يغرق في الصلاة والتأمل مع طيف القديس شربل الذي رافقه منذ اللحظة الاولى لوصوله الى المحبسة.

الشعور المميز كان بدأ يسيطر على ريمون بداية الاسبوع، الا انه كان يتجاوز كل المراحل، حتى كان صباح العاشر من تشرين الثاني. يومها ترك عمله الواحدة بعد الظهر على غير عادة. ودخل منزله لالقاء التحية على زوجته واولاده، ثم توجه الى المحبسة. لحظة وصوله ركع تحت السنديانة الكبيرة وبدأ بالصلاة والتأمل. كان مسمراً لا يشعر بشيء. العالم من حوله يدور ويتحرك ولكنه لا يسمع ولا يرى شيئاً. حتى المؤمنين الذين وصلوا باكراً الى باحة المحبسة لم يتنبّه لوجودهم، ومن بينهم زوجته ريموندا وبعض الاصدقاء. فطيف القديس شربل الذي كان يرافق ريمون في رحلة التأمل سيطر على حواسه ومشاعره ولم يعد يسمع الا نداءات القديس الى الصلاة والمحبة والتقرب من الله.

مع بدء الاحتفال في الذبيحة الالهية تملكه احساس مشابه للشعور الذي سيطر عليه المرة الثانية التي طبع فيها القديس شربل علامة على زنده في ١٥ تموز: «احساسي كان يُنبئني أن شيئاً ما سيحصل، ومما زاد من قناعاتي الروحية رؤيتي طيف القديس شربل وراء المذبح. فتسمرت

نفسه، اذ فقد حواسه ودخل مرحلة الانخطاف. كان سارحاً في النور يسمع صوت القديس يخاطبه ويطلب منه المزيد من الصلاة والمحبة والتواضع. اما الجديد في الرسالة هذه المرة فهو التركيز على تكريم السيدة العذراء «لقد كانت الدعوة واضحة، كرّموا السيدة العذراء واحملوا المسبحة اينما كنتم مع تلاوة الوردية كل ليلة اذا أمكن».

عندما عاد الى واقعه المادي كانت النداءات لا تزال تتخبط في رأسه. ثم توجه الى المذبح لتناول القربان المقدس من دون ان يشعر الا برائحة البخور. عندما عاد الى مقعده احس بثقل في ذراعه اليسرى مع حرارة وحكاك لكنه لم يطلع احداً على الامر.

اجواء الذهول التي سيطرت عليه حالت دون تمكنه من تلاوة شهادات المحبة التي حمله اياها القديس شربل في المرتين السابقتين. فاعتذر من الاب مكرم القزح طالباً منه الاكتفاء بتلاوة الوردية مع المؤمنين في الكنيسة. لكن الاب القزح اصر على معرفة السبب، خصوصاً ان العادة جرت كل ليلة جمعة على تلاوة الشهادة. ولقطع حبل التساؤلات وعلامات الدهشة التي ارتسمت على الوجوه دعا ريمون الاب القزح الى الدخول الى غرفة السكرستيا واشار الى ذراعه. «اول الامر لم يستوعب ما يحصل وما ان اخبرته انني اشعر بحرارة غريبة وحكاك في ذراعي اليسرى حتى صمت وكأنه ادرك ان الرسالة الثالثة وصلت».

وحدها تعابير ريمون كانت هادئة وكأنه وجد الجواب على الشعور الذي كان يسيطر عليه. لكنه فضل عدم التعليق والاكتفاء بإبراز العلامة التي ظهرت في المكان نفسه على شكل اصابع حمراء متوهجة، لكنها بدت اكثر تمدداً وعمقاً.

يبقى السؤال لماذا العلامة للمرة الثالثة؟ الى الآن لم يجد ريمون الجواب ولم يعرف ايضاً لماذا اختار القديس شربل ذراعه اليسرى للتأكيد على وجوده. فالرسائل التي يخاطب بها تتعلق بالانسان والوجود والصلاة والتوبة وتكريم السيدة العذراء. ولكنه لم يخبره لماذا وقع الاختيار على زنده. اما العلامة في رأي الاب ادمون خشان فهي للتأكيد على حصول اعجوبة لأن «توما» مزروع في داخل غالبية النفوس البشرية. «وفي النهاية نحن نعيش في عالم تحكمه المادة. والانسان لا يتعاطى مع اخيه الا باللمس والارقام. لو لم تكن هناك علامة على زند ريمون لاطلقوا عليه الاتهامات ولكن مع الاصابع الخمسة والحرق الذي ينزف دماً لم يعد لاصبع توما مكان، الا اذا كان الهدف التجريح او الالحاد او تهميش بعض الحقائق الروحية تحت غطاء علمي. القديس شربل موجود ورسائله بدأت».

بعد اسبوع على تجدّد العلامة للمرة الثالثة، صدر تقرير الاختصاصي الجلدي البروفسور نبيل حكيم الذي عاين ذراع ريمون في المرتين السابقتين. وفي التقرير الثالث وردت العبارات التي تضمنتها التقارير السابقة ولكن بإيجاز: حرق من الدرجة الثانية والتهابات، لكن المحروق لا يتألم والعوارض نفسها كما في المرتين السابقتين».

وفي محبسة القديس جحافل المؤمنين تصل بالتواتر ليل الجمعة ١٧ تشرين الثاني للاحتفال بالذبيحة الالهية على تلة التجلّي كما العادة. الاب لويس خوند يفتح باب الحوار الديني مع المشاركين، فالصلاة فوق ليست تقليدية. وفي نهاية القداس يتلو ريمون شهادات المحبة وما ورد في رسائل القديس التي بدأت في ١٠ تشرين الثاني ١٩٩٤ ولا تزال تتكرر...»

جومانا البنا

يتلو شهادة جديدة على تلة التجلّي

تقرير البروفسور حكيم... بإيجاز

الأب خشان: نظرت الى عينيه ففهمت...

الأب ادمون خشّان، خادم المحبسة والشاهد الأول على علامات القديس شربل على زند ريمون، لم يخف دهشته عند رؤيته العلامة للمرة الثالثة، علماً أن ريمون كان اخبره فور وصوله الثالثة من بعد ظهر الجمعة ١٠ تشرين الثاني عن إمكان حصول شيء ما: «قبل القداس تقدّم اليّ وسألني إذا كنت اشعر بوجود قوّة روحيّة أو طَيف القديس، فأجبته بالنفي. لكنه استطرد مؤكداً: «بعد قليل سترى». خلال الاحتفال في الذبيحة الالهية كنت افتح باب السكرستيا المواجه للمقعد الذي كان يجلس عليه ريمون من وقت الى آخر وكنت أراه في حال تركيز مميّز من دون أن افهم أو أحلّل السبب.

في نهاية القداس توجّه ريمون الى غرفتي مباشرة وبادرني: «اشعر بحرارة قوية في زندي». نظرت الى عينيه وعدت الى ذكريات ١٠ تشرين الثاني و١٥ تموز، ففهمت ان العلامة تكررت. ولكسر طوق الصمت والذهول الذي لفّ المكان التقط ريمون يديّ التي كانت باردة وترتجف ووضعها على زنده. وقبل أن تلمس اصابعي العلامة شعرت بالحرارة والرهبة، ان الحروق بدت اكثر عمقاً وتمدداً».

ما يميّز الرسالة الثالثة انها تضمنت اموراً عمليّة إضافة الى موضوعات تتعلّق بالكنيسة. «في المرتين السابقتين كان التركيز في رسائل القديس على الله والوجود والانسان الذي هاجر بيت الله. هذه المرة الرسالة مختلفة. فالانسان كونيّ حدوده التراب ولكنه تجاوزها الى النور. إضافة الى تكريم السيدة العذراء وتلاوة الورديّة كل ليلة. أما الجزء الثاني فلا يزال غير واضح ويتطلب المزيد من التركيز ومراجعة المسؤولين لاعطاء الإذن بنشر مضمونه».

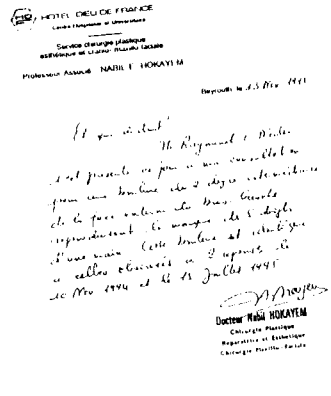

عيناي على الآباء الذين كانوا يحتفلون بالذبيحة. وعندما رفع احد الكهنة كأس القربان المقدس هاتفاً «الأقداس للقديسين» شع منه نور قوي مشابه للنور الذي رأيته في المرتين السابقتين».

للحظات لم يعد ريمون سيد